

ثانياً

نقوش وتصاوير الأفراد

مع بداية الأسرة الثامنة عشرة نقل المصري القديم جديداً على تزيين جدران منازل
مخبرته بالمناظر المتوقعة النبوية منها والدينية ، ومن هذه المناظر ما يتلصق بالتقاليد
القديمه ، ومنها ما تم استحداثه ونراه لأول مرة في هذه الفترة ، وذلك نتيجة الفترات
التي قام بها ملوك هذا العصر لخارج حدود البلاد ، وكان أشرف هذا العصر منذ
الأسرة الثامنة عشرة يتفخرون بكل ما يأتي إلى مصر من هذه البلاد الأجنبية من
الأسلاب والحزبة والهدايا ، وقد سجلوا كل هذا على جدران منازلهم ومقابرهم ، ولهذا
فإن مقابر هذه الفترة بمزاراتها تعد بمثابة سجل لأهم مناظر الحضارة في عصر
الدولة الحديثة .

وكانت مناظر مقابر الأشراف في جبانة طيبة في الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة
عشرة إما منقوشة نقشاً بارزاً أو نقشاً غائراً أو مصورة أو مرسومة فقط ويبدو أن
طبيعة العصر الذي ندرت فيه هذه المقابر كانت هي التي تحدد أسلوب تنفيذ هذه
المناظر ، إذ أن العصر في سفح هذه البهنية كان يتكون من طبقات مسخرية هذه
تتكسر أجزاءها بين أصابع اليد ، وهو ما اضطر الفنان إلى اللجوء إلى طريقة أخرى
لتنفيذ المناظر غير طريقة النقش المباشر على الجدران بعد تسويتها ، حيث قام
بتغطية الجدران بطبقة سميكة من العلي ، تعلوها طبقة من الطلاء الجيري ، كانت
ترسم فوقها الصور بعد صبغها ، كذلك اضطر الفنان لاستعمال الملاط لتلافي
عيوب الصخر لينهل عليه الرسم أو النقش فوقه وذلك بعد مسقله

ويعتقد البعض أن عصر الدولة الحديثة هو العصر الذهبي لفن التصوير في
مصر القديمة ، فقد ازادت خبرة الفنان ووصلت إلى درجة عالية من الإتقان
والنضارة في التنفيذ ، وينطبق ذلك أيضاً على المناظر التقليدية التي كانت سائدة
قبل هذا العصر فقد تناولها الفنان بأسلوب جديد يتناسب مع الذوق الفني السائد في
عصر الدولة الحديثة ، وقد أضاف إليها قدرأ أكبر من الجمال وأهتم بتفاصيلها .

وستطبع أن نقول أن فن التصوير في عصر الدولة الحديثة قد تعطل في الدور الثاني الذي كان مخصصاً فيه حتى تلك الحين وأصبح لنا فناناً بذاته ، وله القدرة أيضاً على التأثير في غيره من الفنون .

وأجمل المناظر التي وجدت في مقابر الأفراد في جبانة مطيبة هي المناظر الموجودة على جدران المقابر الجنائزية التي تملأ الأماكن المخصصة للنفن في تلك المقابر ، وهي مناظر تنقسم إلى قسمين ، أولهما : مناظر الحياة الدنيا اليومية وتصور النشاط اليومي لصاحب المقبرة ، وما يقوم به من أعمال في حياته الدنيا ويأمل أن يستمر فيه في حياته الثانية بعد البعث ، وثانيهما : المناظر الجنائزية ، وهي مناظر تصور الاحتفال بدفن الجثمان ومراسم الجنازة وتقديم القرابين وطقس فتح القم .

ومناظر الحياة الدنيا متعددة ومختلفة المواضيع ، وكانت تشغل جدران الصالة العرضية ، ومنها ما يصور الصناعات والحرف المختلفة ، وأعمال الحقل والزراعة وأيضاً مناظر الحفلات والترفيه والرقص والشرب والطرب والتطريب ، ومناظر صيد البر والبحر .

واختلفت تفاصيل بعض المناظر من مقبرة إلى أخرى وفقاً للوظيفة التي كان يشغلها صاحب المقبرة ، فإذا ما كان من المختصين بالشئون الخارجية للدولة أو يعمل في الوزارة نجده يستعرض منتجات وهدايا البلاد الأجنبية ، ومن ذلك ما نجده في مقبرة وزير تحتمس الثالث المدعو "رخ مي رع" رقم (100) بجبانة القرنة من مناظر هامة تصور مجموعات من السوريين والنوبيين والكريتيين ووفود من بلاد بونت يحملون هدايا ومنتجات بلادهم ويستقبلهم الوزير "رخ مي رع" .

وكان القضاء والحكم من الناس من مهام "رخ مي رع" أيضاً لذا نرى في مقبرته منظرًا يصور قاعة العدل التي يقوم فيها "رخ مي رع" بالفصل في قضايا الناس ، ولا

13. تظهر مناظر المقابر من مناظر الحياة الأسرية التي تصور صاحب المقبرة يجلس مع زوجته وبعض أقاربه .

لما المناظر الجنائزية ومناظر العالم الآخر فكانت تشغل في الغالب جدران الصالة الطويلة وهي مناظر تصور الجنازة ونقل الجثمان والأثاث الجنائزي ، وزحلة المتوفي إلى أبيدوس المقدسة .

وبلاحظ في مقابر أفراد عصر الرعامسة (الأسرتين التاسعة عشرة والعشرون) أن المناظر الجنائزية قد طغت على المناظر الدنيوية ، ومن ثم ظهرت هذه المناظر الجنائزية على جدران الصالة العرضية التي كانت مخصصة للمناظر الدنيوية في النصف الأول من عصر الأسرة الثامنة عشرة .

كما ظهرت في مقابر أشراف هذه الفترة (منذ النصف الثاني من الأسرة الثامنة عشرة) مناظر محكمة المتوفي ، ومثال ذلك مقبرة "مننا" رقم 69 بالقرنة ، وكان مننا" كاتباً لحقول الملك تحتمس الرابع" وأيضاً مقبرة الكاتب الملكي "حور محب" رقم 78 بالقرنة والتي ترجع إلى عهد "تحتمس الرابع" و "أمنحنب الثالث" ويظهر المتوفي في هذه المناظر أمام الإله "أوزير" رب المتوفي ، وتقوم بعض الآلية بوزن قلب المتوفي أمام ريشة الحق أو رمز العدالة "ماعت" لتقييم أعماله ، المنظر (57)

واتسمت بعض المناظر المصورة على مقابر الأفراد بجبانة طبيعية بالتححرر من القواعد التقليدية وهي مناظر تصور الخدم والعبيد والأجانب ، ومن تصاح هذه المناظر منظرًا من مقبرة تب أمون" التي ترجع إلى عهد "تحتمس الرابع" ، والمنظر محفوظ الآن بمتحف لندن ، ويصور مجموعة من العازقات والراقصات وهو منظر رائع يظهر مدى تحرر الفنان من القواعد المتوارثة ، فقد قام الفنان بتصوير بعض الوجوه من الأمام وقد نجح في ذلك ، كما عبر باقتدار عن الليونة والرشاقة في حركات الراقصات .

وتتميز مقابر العمال بدير المدينة بمناظر بلغت حد عالي من الجمال وشواعة ، وهي مناظر ذات ألوان زاهية ، ومن أهم هذه المقابر مقبرتي "سن لحم" و"باشيدو" ولا يضاهي مناظر هاتين المقبرتين غير مناظر مقبرة من رقم (96) ، وهي رغم أنها لا تقع في جبانة دير المدينة وإنما في جبانة الشيخ عبد القزعة فإنها تتفق مع مقابر دير المدينة في أن حجوة الدفن بها مزينة بتلك المناظر ذات الألوان الزاهية

وكذلك تتضمن الفن في هذا العصر رسوم هزلية تشبه رسوم الكاريكاتير وهي تشير إلى حب الشعب المصري للمرح وميله للذخابة ، ومن هذه الرسوم ما يصور معارك خرافية بين القطط والقران واستيلاء ملك القران على قلعة القطط ، الشكل (58) .

ومنظر آخر يصور فرقة موسيقية مكونة من بعض الحيوانات فتجد الحمام عازفاً على الجناك ، والأسد عازفاً على العود ، والنمساح على الجيتار ، والقران يفتح في الناي ، الشكل (59)

ومنظراً آخر يصور فرس النهر وقد أعلى شجرة واستقر بين أغصانها بينما أخذ الصقر سلماً ليصعد إليه ، الشكل (60) .

وهناك منظر يصور قطاً يرعى الإوز ، الشكل (61) ، وتعلماً يرعى الماعز ، الشكل (62) .

وهناك منظرًا هزلياً آخر يصور أسداً يلعب لعبة الدست (تشبه الشطرنج) مع نيساً ، وقد ظهرت على الأسد علامات الانتصار ، الشكل (63) .

رغم الفكاهة التي تحملها هذه المناظر الهزلية فإنها لا شك أنها تحمل في باطنها مرارة وحزن دفين علي ماضي مجيد وحاضر مخجل أصبح فيه الصغار يعرف ويحس وصغار فيه القار يهزم القط ، والقط يرعى الإوز ، وهي صور هزلية يضحك منها العامة ويستفيد منها الخاصة .